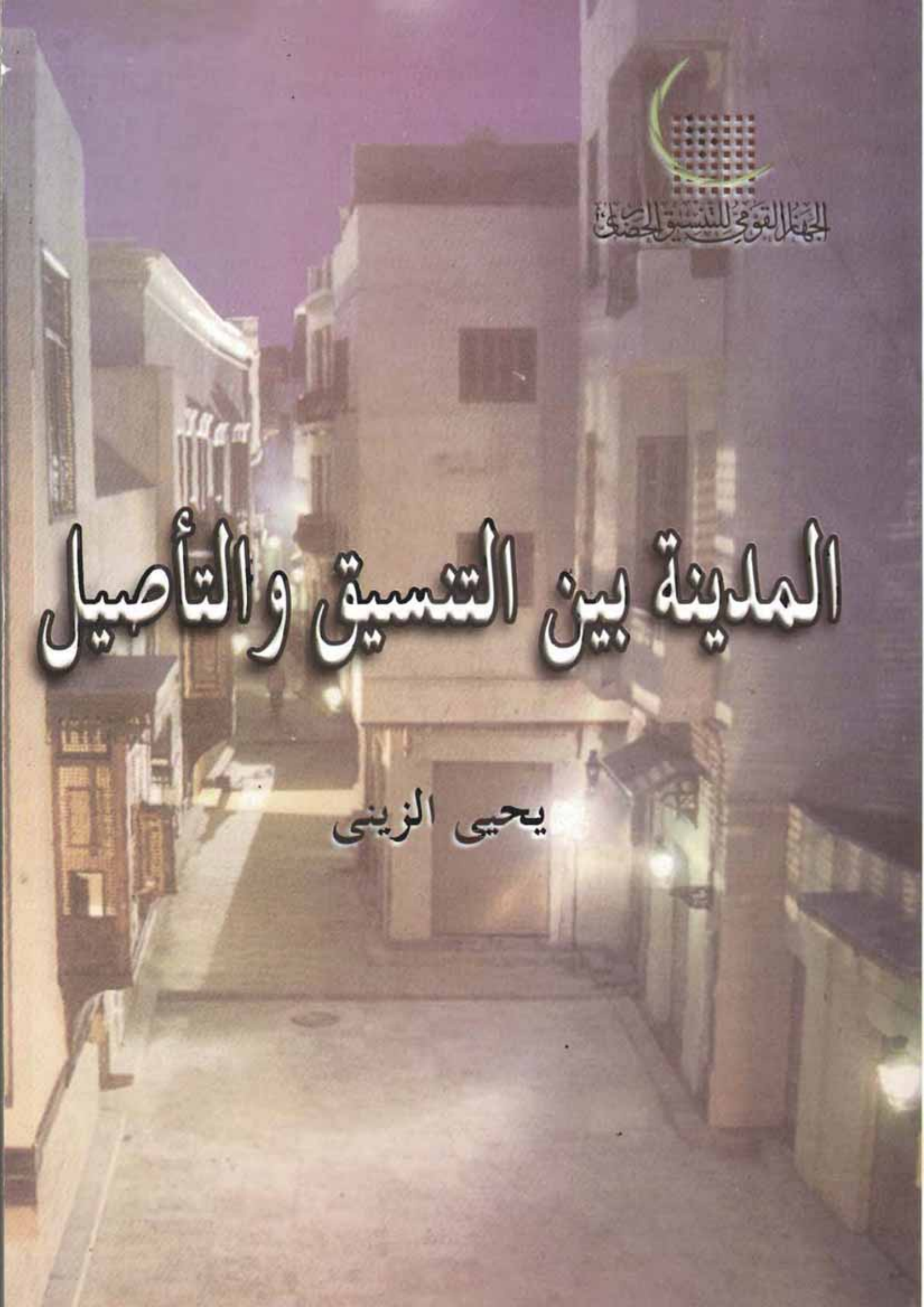

المدينة بين التنسيق والتأصيل

يحيى الزينى

المدينة بين التنسيق والتأصيل

يحيى الزيني

إهداء إلى الوسيم العزيز أ.د محمد عبد البارق
تقديرا منى واسهاما فى جهوده المخلصة لجمع
ونشر أعمال المعماريين والمخططين ... بهدف
تعميم ثقافة العمارة، وإثارة الوعى بالبيئة
العمرانية بين الفاعلية من المواطنين حتى نصل بالحياة
فى المدينة المصرية إلى درجة الجودة المرجوة

سبتمبر ٢٠١٢ يحيى الزيني

الكتاب: المدينة بين التنسيق والتأصيل
الكاتب والمعد: أ.د. يحيى الزينى
التقديم: سمير غريب

الإخراج الفنى والغلاف: إيهاب عشماوى

الطبعة الأولى : ٢٠١١
رقم الإيداع : ٥٢٤٩ / ٢٠١١
الترقيم الدولى : ٢- ٥٠٣ - ٧٠٤ - ٩٧٧ - ٩٧٨

© إصدارات الجهاز القومى للتنسيق الحضارى:
تهتم بنشر الوعي العلمي بثقافة التنسيق الحضاري والارتقاء بالذوق الجمالي في العمارة والعمران المصري

فهرس المحتويات

تقديم: المعماري المُعلّم والمفكر "يحي الزيني"، بقلم سمير غريب ٥

مدخل: بقلم المؤلف ٩

الباب الأول: التراث العمراني ومعنى التاريخ ١١

١-١ نحو الحفاظ على ذاكرة المدينة ١٣

١-٢ الحفاظ على القيم الحضارية في البيئة العمرانية بالمدينة المصرية . ٣١

١-٣ القاهرة القديمة.. حضارة وعمارة ٤٩

١-٤ جامع ومدرسة السلطان حسن ٥٥

١-٥ مشاركة الأهالي في الارتقاء بالأحياء التاريخية ٦١

١-٦ يا أيها المُلاّك.. حافظوا على الأملاك ٧٣

١-٧ صاحبة المقام الرفيع في ميدان "الكونكورد" بباريس ٨١

الباب الثاني: البيئة العمرانية وجودة الحياة ٩٥

٢-١ إعادة التوازن إلى عمران المدينة ٩٧

٢-٢ نحو إثارة الوعي بالبيئة العمرانية في المدينة المصرية ١٠٣

٢-٣ الشارع المصري ومجتمع المدينة بين التأثير والتأثر ١٢٣

٢-٤ سوق العبور.. والعبور الحضاري ١٥١

الباب الثالث: فى التنسيق الحضرى والقيم الحضارية ١٥٥

٣-١ القاهرة والنيل في إطار التنسيق الحضاري ١٥٧

٣-٢ المدينة والفن والتنسيق الحضاري.. منظومة تكامل أو تناقض!..... ١٨٧

٣-٣ التنسيق (الحضرى) الحضاري بين تخلف التنمية وتنمية التخلف .. ١٩٧

الباب الرابع: الفن والعمارة وحدود المسئوليات ٢٠٧

٤-١ مشكلات التعامل مع الشارع المصري وظيفيا وجماليا ٢٠٩

٤-٢ نحو رفع مستوى الذوق العام في المدينة المصرية ٢١٧

٤-٣ الحديقة والكوبري.. والأسُود الأربعة ٢٢٩

٤-٤ كلية الفنون الجميلة.. مائة عام ٢٣٣

٤-٥ تحديث وتنوع النشاط المتحفي في مصر ٢٤٣
الباب الخامس: الحدائق التراثية والتوازن البيئى ٢٦٩
٥-١ سطور من صفحات التاريخ الأخضر ٢٧١
٥-٢ حدائقنا التاريخية.. تراث عمراني يتآكل ٢٩٣
٥-٣ نداء إلى الأيادي الخضراء ٣٢١
الباب السادس: البحث عن الجوهر الضائع .... الطابع ٣٢٥
٦-١ طابع عمارة المجتمعات العمرانية الجديدة بين الإبداع والانتاج الكمى. ٣٢٧
٦-٢ مدخل إلى تحقيق الشخصية في العمارة العربية المعاصرة ٣٤٣

تقـــديم: بقلم سمير غريب

المعماري المُعلّم والمفكر "يحي الزيني"

وليس كمثل يحيى الزيني من يتحدث في العمارة والعمران. إنـــه أكبـــر المعمـــاريين المصريين سنا، أطال الله في عمره ومتعه بالصحة. فقد تخرج في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٤٢ وحصل على الماجستير في العمارة والفنون الإسلامية عـــام ١٩٤٧مـــن جامعـــة القاهرة، والدكتوراه من باريس. هو شاهد على ما حدث للعمارة المصرية وللعمران في مصر على مدى أكثر من سبعين عاما. وكان أيضا فاعلا فيهما بقدر ما تمكن. فقد عمل في مصلحة المباني الأميرية في الأربعينيات من القرن العشرين ورأس مجلـــس إدارة المكتـــب العربـــي للتصميمات. ورأس جهاز بحوث ودراسات التعمير بوزارة الإسكان، ورأس شـــركة التعميـــر والمساكن الشعبية. كما رأس لجنة العمارة بالمجلس الأعلى للثقافة. في الوقت نفسه ظل أستاذا للعمارة في كليته التي تخرج فيها. لذا استحق التقدير من الدولة التي منحتـــه أوســـمتها فـــي جمهوريات ما بعد ثورة ١٩٥٢: وسام الجمهورية عام ١٩٥٥، ووسام الاستحقاق عام ١٩٧٧ وجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٩٧.

يمكن لكل إنسان أن يكون ناجحا في مجال واحد، ولكن هناك بعضا من البشر يمكـــن أن يكون الواحد منهم ناجحا في أكثر من مجال. تماما مثل الموهبة. فالقاعدة أن يكـــون لكـــل إنسان موهبة واحدة يتميز بها، ولكن هناك استثناء يتمتع به البعض، وهو أن يكـــون الواحـــد منهم متمتعا بأكثر من موهبة.

يحيى الزيني واحد من هؤلاء البعض، القلة أو الاستثناء. إنه موهوب كمهندس مصمم معماري، وهو موهوب كأستاذ جامعي يجيد شرح دروسه لتلاميذه، ويؤثر فيهم شخصيا. لكنه أيضا مفكر يجيد التأمل والتعبير عما يتأمل فيه ويتوصل إليه من أفكار وآراء بقلم طيع رشيق. هكذا جمع يحيى الزيني بين ثلاث مواهب، تعرفت عليها فيه خلال معرفتي به على مدى ربع القرن الأخير.

هو مهندس مصمم معماري متميز، وأستاذ جامعي قدير، ومفكر متأمل بعـــين ناقـــدة. وكل هذه المواهب مغلفة بإطار قوي من محبة مصر. هذه المحبة بادية في كل أعماله وأقواله.

وأختصر هنا لأضرب مثالا دالا، وهو عكوفه، كعكوف الرهبان والمتـــصوفة، علـــى مشروع ضخم، لا يعرفه معظم القراء لأنه لم يحظ بإعلام مناسب، وربما لم يحظ بإعلام على الإطلاق. ولولا أن أهداني يحيى الزيني نسخة من ملخص المشروع ما عرفت بـــه. وأعنـــي

موسوعة "المنشآت التعليمية في مصر عبر العصور"، التي صاغها في ثلاثة مجلدات كبيرة تتبّع فيها تاريخ المنشآت التعليمية في مصر وتصميماتها المعمارية منذ العصور الفرعونية القديمة (٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد) وحتى القرن الماضي في العصور الحديثة، مرورا بالطبع بالعصور الوسيطة. أي أنه غطى كل تاريخ منشآت التعليم. ولم أسمع عن مثل هذه الموسوعة في أي بلد آخر متقدم أو غير متقدم. مما يعني أن يحيى الزيني سجل إنجازا وحيدا له ولمصر بين العالمين.

لابد أن أحيي الهيئة العامة للأبنية التعليمية التابعة لوزارة التربية والتعليم على إصدار هذه الموسوعة الفريدة، وتمويلها. وهي موسوعة تستحق أن نفرد لها مساحة مستقلة للحديث عنها. إذ أن كثيرا من المباني التعليمية في مصر عبر العصور قد تم تدميرها، أو هدمها لأسباب شتى، مثلما حدث لمكتبة الإسكندرية القديمة. كما أن التنوع الكبير في الحضارات والثقافات التي عاشتها مصر، انعكس على تصاميم مبانيها التعليمية مما شكّل بلا شك ثراء معماريا ومعرفيا لها. وتكفي هذه الثروة الهائلة من الصور والخرائط والرسومات الهندسية التي لا أعرف كيف تمكن يحيى الزيني من إعدادها. أرجو أن تكون هذه الموسوعة متاحة لطلاب العلم والمعرفة والمتخصصين والراغبين بسعر مناسب.

بمحبة، وعرفان بقيمة يحيى الزيني، وبعد متابعة لأبحاثه ودراساته وكتاباته المتنوعة. عرضت عليه أن يجمع المادة التي انشغل بها ومنحها وقته الثمين على مدى السنوات الماضية، على أن يصدرها الجهاز القومي للتنسيق الحضاري في كتاب. وهذا جزء من وظيفة الجهاز في نشر ثقافة التنسيق الحضاري. مثلما فعلت من قبل مع كاتبنا الكبير الراحل أحمد بهاء الدين، وجمعنا له مقالات لم تنشر في كل كتبه السابقة. وكانت مقالات وثيقة الصلة بالعمران، وبالأخص بأسس التنسيق الحضاري قبل أن يصك هذا التعبير، لذا أطلقت على كتابه "مقالات في التنسيق الحضاري" على الرغم من أنه ترك عالمنا قبل أن يعرف بنشوء الجهاز.

كذلك فعل أستاذنا الدكتور يحيى الزيني.

جمع في كتابه الجديد الذي نحن بصدده، تفصيل فكره، وآراءه في الموضوعات التي اهتم بها، وقد أطلق عليه عنوانا ذا دلالة "المدينة بين التنسيق والتأصيل". وكان يحيى الزيني من أوائل المتحمسين لفكرة إنشاء "الجهاز القومي للتنسيق الحضاري" والمشجعين له. وقد عبّر عن هذا في مقالات منشورة، وفي ندوات ومؤتمرات حضرها. ونحن نشرف به عضوا في اللجنة النوعية العلمية للمباني والمناطق التراثية في الجهاز. وهو حريص على حضور اجتماعاتها رغم تقدمه في السن، ويضرب مثالا يُحتذى به في احترام المواعيد، وفي أسلوب عرض الأفكار والمناقشة.

إذن هذه فرصة لا يجب أن يفوّتها القراء، وبخاصة المتخصصين والمهتمين، في الاقتراب من فكر يحيى الزيني المعماري والحضاري.

يحدثنا في هذا الكتاب عن ضرورة الحفاظ على ذاكرة المدينة، وعلى القيم الحضارية في البيئة العمرانية، وأهمية المشاركة الأهلية في هذا الحفاظ. ويستعرض لنا الزيني بعينه الخبيرة مشاهد معمارية متميزة كمسجد السلطان حسن في القاهرة، وميدان الكونكورد في باريس. وعبّر أستاذنا عن أهمية إعادة التوازن المفقود في العمران المصري. لذلك من المهم إثارة الوعي بالبيئة العمرانية في مدننا وقرانا.

ومن القضايا التي تحتاج إلى اهتمام ووعي خاص، قضية الحفاظ على حدائقنا التاريخية باعتبارها تراثا معماريا يتآكل بفعل أيدينا، وما جرى لحديقة الأزبكية في قلب العاصمة شاهد حي على هذا التآكل الشديد.

يخصص الدكتور يحي الزيني فصولا عدة في كتابه هذا لموضوعات التنسيق الحضاري من وجهة نظره. ويربط هذا التنسيق بالتنمية، ويضع عملية التنمية بين نقيضين، هما على حد قوله "تخلف التنمية، وتنمية التخلف".

يرجع ليحيى الزيني الفضل في اهتمام المجالس القومية المتخصصة بنهر النيل الذي يطفو على سطح أحداثنا رغما عنا، وكنا قد أهملنا الحديث عنه طويلا. ومازلنا نهمل نهر النيل برغم كثرة الحديث عنه الآن. أذكر أنني دُعيت في العام الماضي إلى اجتماع في المجالس القومية المتخصصة للحديث عن علاقة القاهرة بالنيل في إطار التنسيق الحضاري. وقد اكتشفت في بداية هذا الاجتماع أن وراء انعقاده الدكتور يحيى الزيني بصفته عضو المجلس، وقدم ورقة مهمة في هذا الموضوع أتاح للقراء مطالعتها في هذا الكتاب الجديد. وقد أبدى آراء يجب الأخذ بها؛ إذا كنا بالفعل حريصين على النيل، أو إذا كنا حريصين على حياتنا. فالنيل لنا هو الحياة، ولا حياة بغيره. وقد حضر هذه الجلسة الوزراء والمحافظون المعنيون بالموضوع، وسمعوا ما قيل.

لم يكتف الدكتور الزيني في هذا الكتاب بالأبحاث والمقالات النظرية على أهميتها. بل تناول أمثلة عملية كنماذج للمساعدة في حل مشكلات العمران، وتحقيق التنسيق الحضاري فيه. مثل حديثه عن مشكلات التعامل المنتهِك للشارع المصري وظيفيا وجماليا، وظواهر قلة الذوق العام في سلوك معظم المصريين في الشارع، أو في الفراغ العمراني بشكل عام. وافتقاد الجمال وأعمال الفن العام في المساحة الأكبر من عمراننا المأهول. ومن باب التكامل أنه عرج على كليته الأثيرة والرائدة، وهي كلية الفنون الجميلة التي احتفلنا بمرور مائة عام على إنشائها في العام الماضي. وكذا تناول دور المتاحف في مصر كمرجع عمراني فني مهم.

لا تفوتني هنا الإشادة بدور الرسومات المعمارية والتوضيحية والصور الفوتوغرافية التي تفضل الدكتور يحيى الزيني بتزويد الكتاب بها من مكتبته الخاصة، ومنها كثير من أعماله وصوره التي التقطها بنفسه. حتى تكتمل الفائدة من هذا الكتاب، المرجع المهم، الذي يستحق عليه أستاذنا المعماري المفكر المعلم الفذ كل الشكر والتقدير والامتنان.

سمير غريب

مـــدخـــل:

يتجذر انتماء الإنسان للمكان خلال حركة الزمان، عن طريق ما يتـــشكل لديـــه مـــن رموز ومعان، وما يتراكم في وجدانه من عواطف وأحاسيس، وما تسجله ذاكرته من مواقـــف وأحداث وصور تجعل جميعها من المكان زمانا متجمدا.

ولا تخضع تلك المشاعر والأحاسيس لمنطق العقل وتحليل الأسباب والمسببات، فهـــي تدفع بالإنسان لأن ينحاز إلى مكان دون آخر، يرى فيه ما لا يراه الآخرون من معان ورموز، فيسبغ عليه من جماليات العمران ومن أصالة البيئة وخصوصياتها، ما قد لا يكون فيـــه مـــن واقع الحقيقة، وتلك سمة من سمات الإحساس بالجمال التعاطفي والوجداني.

وهذه الصفحات التي أقدمها للقارئ الكريم تعكس انفعالات وتفاعلات إنـــسان يحـــس بعبقرية المكان حيثما كان، وتسجلها خواطر ومشاهدات وتحليلات؛ قد يـــسفر بعـــضها عـــن توصيات واقتراحات، ولم يجُل أبدا بخاطره أن يجمع أشتاتها بين دفتي كتاب؛ خوفا من تكرار الموضوعات واضطراب السياق، لولا تشجيع الأخ الكريم الكاتب والناقد الأريب الأستاذ سمير غريب، الذي آثار فكرة التجميع والنشر، بعد أن لمس في الأوراق روحا حائرة بـــين همـــوم واهتمامات ملحة، وأشتات توجهات صادقة متحمسة، تبحث في تفاعلات الأيـــام مـــع ثلاثـــي الحياة: الإنسان والمكان والزمان، عما يحقق أحلام الإنسان ببيئة عمرانية حـــضرية، متـــسقة حضارياً، تجعل من فترة بقائه على قيد الحياة على الأرض، مرحلة تستحق الحياة.

هذا وقد أوحى تشتت وتنوع المشكلات التى يعرضها الكتاب، أن ينتظم عقـــدها تحـــت ســـتة عناوين أوتوجهات، هى:

- **التراث العمراني ومعنى التاريخ.**
- **البيئة العمرانية وجودة الحياة.**
- **في التنسيق الحضرى والقيم الحضارية**
- **الفن والعمارة وحدود المسئوليات**
- **الحدائق التراثية والتوازن البيئى**
- **البحث عن الجوهر الضائع.. الطابَع**

وذلك بهدف تحقيق الانسجام والتناغم وتسلسل الإيقاع فيما بينها.

وعلى الله قصد السبيل،،

أ.د. يحـــيى الزينـــي

الزمالك، فبراير ٢٠١٠